بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 22 - لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

16-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نبدأ معاً حلقة جديدة من برنامجنا : "واضرب لهم مثلاً" ، هذه الحلقات نبحر فيها مع الأمثال القرآنية والنبوية ونحن نستمتع بصحبة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور راتب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ الآية اليوم التي تطلب مثلاً توضيحاً هي قوله تعالى في سورة القصص :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : 47]

﴿ لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾

[سورة القصص : 47]

ما الرسول في هذه الآية ؟ وكيف نفهمها ؟

المصيبة رسول من الله و هي تسوق صاحبها إلى الجنة :

الدكتور راتب :

والله السياق يقتضي المصيبة .

الدكتور بلال :

الرسول هو المصيبة هنا .

الدكتور راتب :

لكن لو أن طفلاً لم يدرس ، نقول له : هذا شأنك ، افعل ما تشاء .

الدكتور بلال :

رفض الدراسة .

الدكتور راتب :

رفض الدراسة ، والأب لم يعاقبه ، ولم يحضه ، ولم يرغبه ، ولم يحذره .

الدكتور بلال :

تركه وشأنه .

الدكتور راتب :

فلما كبر هذا الطفل لا وظيفة ، ولا تجارة ، ولا بيت ، ولا زواج ، ولا سيارة ، ولا شيء، حقد على أبيه ، قال له : يا أبتِ ! حينما لم أرغب بالدراسة لِمَ لمْ تصفعنِي على وجهي ؟ لِمَ لمْ تؤدبنِي ؟ لِمَ لمْ تعاقبنِي ؟ أنا الآن بلا عمل ، وبلا زواج ، وبلا بيت ، وبلا مكانة إطلاقاً ، فلذلك الإنسان حينما يرى أن الله سبحانه وتعالى يعاقبه ، يؤدبه ، يكون إنساناً له مكانة ليسعد في الدنيا والآخرة ، لينال الجنة ، فلذلك أحياناً التربية السلبية ، السلبية :

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

[سورة لقمان : 20]

الشدة نعمة باطنة ، المرض نعمة باطنة ، الخوف نعمة باطنة ، كل هذه الشدائد تدفعنا إلى طاعة الله ، وأنا أقول : الأزمات الكبيرة جداً لها أهداف بعيدة عن الله عز وجل تدفع عباده إلى طاعته ، يساقون سوقاً إلى الجنة ، المصيبة تسوق صاحبها إلى الجنة .

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾

[سورة القصص : 47]

معنى هذا أن هذه المصيبة رسول من الله ، لفت نظر .

شخص زكاة ماله فرضاً ألف وخمسمئة ، زوجته ألحت عليه أن يطلي البيت .

الدكتور بلال :

بدل دفع الزكاة .

الدكتور راتب :

بدل دفع الزكاة ، ضغطت عليه كثيراً فاستجاب لها ، بعد أن انتهى من طلاء البيت عمل حادث سيارة ، أغرب شيء تطابق الرقمين ، كلفه ألفاً وخمسمئة ، هذه رسالة من الله .

فالبطولة ؛ أو لي كلمة أدق : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر .

الدكتور بلال :

أصبح هو المصيبة .

الدكتور راتب :

هو المصيبة ، المصيبة هادفة ، المصيبة من رحيم ، من عليم ، من حكيم ، من رب كريم ، فما لم تحدث هذه المصيبة موعظة أصبح هو المصيبة .

الدكتور بلال :

لكن سيدي هناك فرق بين المصيبة والابتلاء ، أحياناً قد يأتي ابتلاء للمؤمن .

الفرق بين المصيبة والابتلاء :

الدكتور راتب :

﴿ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين : 30]

الدكتور بلال :

هذا غير المصيبة .

الدكتور راتب :

الابتلاء قدرنا ، الابتلاء هو :

لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك :2]

الابتلاء معناه حيادي ، قد تبتلى فتنجح ، النبي قال :

((لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاث ما بين يوم وليلة ومالي طعام إلا ما واراه إبط بلال))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

فالابتلاء قائم ، الابتلاء قدرنا ، الأنبياء ابتلوا ، بالعكس كلما علا مقامك ازداد البلاء.

الدكتور بلال :

((من أشَدُّ بلاء ؟ قال : الأنبياءُ))

[أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص]

الدكتور راتب :

وأشدهم بلاء أنا :

((ثم الأمثلُ فالأمثلُ))

[أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص]

﴿ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين : 30]

أدق من ذلك هو :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك :2]

أما المصيبة فموضوع ثان ، المصيبة تصيب الهدف .

الدكتور بلال :

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص : 47]

الوقوف عند كل مصيبة و معرفة سببها :

الدكتور راتب :

لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

يوجد كبر ؟ يوجد إذلال ؟ يوجد إسراف ؟ يوجد تقتير ؟ يوجد إهمال ؟ يوجد عقوبة ؟ المصيبة تصيب الهدف ، وأنا أتمنى من الأخوة المشاهدين أي مصيبة أن يقف عندها ، ما السبب ؟ أي مشكلة فعلتها ؟ أي كلمة قلتها ؟ أحياناً كلمة :

((وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَط الله لا يُلْقِي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[أخرجه البُخَارِيُّ وأحمد عن أبي هريرة]

وهناك قصص ، أنا أعتقد أن هناك نصوصاً و حوادث ، النصوص الدعوة النصية .

الدكتور بلال :

النقل .

الدكتور راتب :

النقل ، هناك دعوة عملية ، أفعال الله هي دعوة ، دعوة من نوع آخر ، والثالثة قرآنية، ثلاثة أنواع من الآيات ، آيات كونية ؛ تفكر ، آيات تكوينية ؛ نظر ، آيات قرآنية ؛ تدبر .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ ما رأيكم في شخص كلما أصابت أخاه المؤمن مصيبة - ولعلها ابتلاء من الله - نظر إليه بعين...

بطولة الإنسان أن يبرئ الآخرين و يتهم نفسه دائماً :

الدكتور راتب :

هذا خطأ كبير ، أنا لا يُسمح لي إطلاقاً أن أُنزل آية على شخص ، هذا من شأن الله وحده .

الدكتور بلال :

لا أقول إن الله لعله فعل شيئاً خطأ .

الدكتور راتب :

أذكر مرة أن النبي الكريم من عادته إذا مات أحد أصحابه يزور بيته قبل دفنه ، فسمع امرأة تقول : هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله ، النبي وحده أقواله سنة ، وأفعاله سنة ، وإقراره سنة ، وصمته سنة، وصفاته سنة ، لو سكت لكان كلامها صحيحاً ، النبي وحده ، لأنه مشرع ، قال لها : ومن أدراكِ أن الله أكرمه ؟ قولِي : أرجو الله أن يكرمه ، وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم .

أنا لا أقدر أن أنزل حدثاً على إنسان ، هذا من شأن الله عز وجل ، أبداً ، ما الدليل ؟

﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾

[سورة الإسراء : 17]

أنا أقول : الخمر حرام ، الربا حرام ، لكن لا أقول إن فلاناً سوف يدمر ، هذا ليس من شأني .

الدكتور بلال :

هذا شأن الله .

الدكتور راتب :

لعله يتوب ويسبقني .

الدكتور بلال :

إذاً سيدي الموقف الأمثل : إن أصابتني مصيبة لنفسي أتهم نفسي ، أي الإنسان يتهم نفسه ، ويبرئ أخاه.

الدكتور راتب :

بارك الله بك على هذا السؤال ، هنا الموقف متناقض ، إن أصبت بمصيبة إياك أن تبرئها .

الدكتور بلال :

لا تبرئ نفسك .

الدكتور راتب :

أبداً ، لا بد من شيء ، لا بد من خطأ ، لا بد من كلمة ، لا بد من عمل ، لا بد من إنفاق ، من إسراف ، لا بد من شماتة ، لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ، أما إذا أصابت أخاك فأحسن به الظن ، لعلها ترقية ، لعلها تبرئة ، لعلها ! لعلها ! البطولة ، أما الشيء المعاكس والعياذ بالله فيبرئ نفسه دائماً ، ويتهم الآخرين دائماً .

الدكتور بلال :

المصيبة لي رفع درجة ، ولإخواني عقاب من الله عز وجل .

نعم إذاً سيدي :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ ﴾

[سورة القصص : 47]

هذه الباء باء السبب ، أي هذه المصيبة بسبب ما فعلوا .

لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

[سورة الشورى : 30]

﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾

[سورة القصص : 47]

هنا قد تأتي بمعنى المصيبة .

المصيبة رسالة من الله :

الدكتور راتب :

المصيبة رسالة من الله ، هذا الذي لم يدفع زكاة ماله ، عمل حادثاً الرقم نفسه .

الدكتور بلال :

هذه رسالة واضحة

الدكتور راتب :

رسالة من الله .

الدكتور بلال :

﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : 47]

أي يفعلون ذلك في الدنيا قبل أن يلقوا الله ؟

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾

[سورة السجدة : 21]

بطولة الإنسان أن يؤمن قبل فوات الأوان :

الدكتور راتب :

في الحقيقة ما دام لم يمت بعد فكل شيء هين ، إذا مات انتهى الأمر ، فرعون أكفر كفار الأرض الذي قال :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات : 24]

ثم تحفظ قليلاً قال :

لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص : 38]

وحينما أدركه الغرق آمن ، لذلك الإيمان حاصل لا محالة ، أين البطولة ؟ أن تؤمن بالوقت المناسب .

الدكتور بلال :

قبل فوات الأوان .

الدكتور راتب :

لا بعد فوات الأوان .

الدكتور بلال :

﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : 47]

الدكتور راتب :

دخل على الامتحان و لم يدرس ، قدم ورقة بيضاء ، أخذ صفراً بجدارة ، عاد إلى البيت قرأ الكتاب ، انتهى الأمر .

الدكتور بلال :

عرف الإجابة بعد فوات الأوان .

الدكتور راتب :

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾

[سورة الأنعام : 158]

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ في ختام هذا اللقاء الذي سعدت فيه بصحبتكم ، وسعدت قبلاً بصحبة شيخنا جزاه الله عنا خير الجزاء إلا أن أشكر لكم حسن المتابعة ، راجياً مولانا جلّ جلاله أن تكونوا دائماً في خير حال ، أستودعكم الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم